

المستشرق جولدتسيهر ونقد متن الحديث

- عرض ونقد -

المدرس الدكتور

إيناس جاسم محمد الدروغي

جامعة الكفيل - قسم الشريعة

Inas.aldoroghy@alkafeel.edu.iq

Orientalist Goldziher and Criticism of Matn Alhadith

- Presentation and Criticism-

Lect. Dr.

Inas Jassim mohammed Al Doroghy

University - Department of Sharia AL Kafeel

Abstract:-

Islam occupies a large area in Orientalist studies, as most Orientalists have exerted a wide effort in the study of Islam and its various fields - regardless of their different objectives - , the study came to include the interest of one of the Orientalists who had a leading among his peers in the study of Islam and its various aspects, where The orientation of the orientalist Agnaz Goldziher regarding the Hadith and his attitude towards the Muslim curricula in adopting the validity of its issuance and his claim that they have overlooked the Matn and studied in exchange for their interest in the Sandhi series and the science of men, and also highlighted the invalidity of his claim with the transfer and mental evidence, and proved The study that Muslim scholars have cared for criticism of the Matn approach in exchange for their interest in Sand, although their study of a series of Sandhi is only a path connected to the investigation into the Matn.

Keywords: Orientalist, Goldziher, Alhadith, Inas.

ملخص:-

احتل الإسلام مساحة واسعة في الدراسات الاستشراقية، حيث ان أغلب المستشرقين بذلوا جهدا واسعا في دراسة الإسلام ومجالاته المتعددة - بغض النظر عن أهدافهم المختلفة-، فجاءت الدراسة لتشمل اهتمام أحد المستشرقين الذين كان لهم موقع الصدارة من بين أقرانه في دراسة الإسلام وجوانبه المختلفة، حيث سلطت الضوء على موقف المستشرق اجنتس جولدتسيهر من الحديث النبوي الشريف وموقفه من مناهج المسلمين في اعتماد صحة صدوره وادعائه بأنهم غفلوا عن المتن ودراسته في مقابل اهتمامهم بالسلسلة السنديّة وعلم الرجال، كما وسلطت الضوء على بطلان ادعائه بأدلة عقلية وعقلية، وأثبتت الدراسة إن العلماء المسلمين قد اهتموا بمنهج نقد المتن في مقابل اهتمامهم بالسند وإن دراساتهم للسلسلة السنديّة ما هي إلا طريقا موصلا للتحقيق في المتن.

الكلمات المفتاحية: استشراق، جولدتسيهر، الحديث، ايناس.

المقدمة :-

لقد بلغ اهتمام المستشرقين بالإسلام أعلى ذروته بالمقارنة مع أبحاثهم الأخرى التي هي خارج نطاقه وكان نتاج هذا الاهتمام تناولهم لمختلف القضايا التي ترتبط بالإسلام سواء أكان هذا الارتباط من قريب أو من بعيد.

كانت وراء انشغال المستشرقين بهذه المجالات أهداف عديدة ومنها تشويه الحقائق الإسلامية من خلال بث الشكوك والمطاعن حول الثوابت واثبات ما هو مجالا للخطأ والبطلان، وستقف من خلال هذا البحث على ادعاء لأحد المستشرقين ألا وهو القول بعدم اهتمام العلماء المسلمين بنقد متن الحديث وموقف المستشرق جولدتسيهر من هذه الادعاء وخاصة ما ورد عنه في كتابه العقيدة والشريعة في الإسلام وكتاب دراسات محمدية.

اشتمل البحث على عدة مطالب، المطلب الأول منها دار حول التعريف بالمستشرق جولدتسيهر وأبرز مؤلفاته واهتماماته، والمطلب الثاني تناول ادعاءات جولدتسيهر حول الحديث النبوي الشريف باستعراض أهم الكتب في هذا المجال من جهة ونقد المتن عند المسلمين من جهة أخرى، أما المطلب الثالث فتخصّص للردّ على هذه الادعاءات بأدلة نقلية وعقلية، وتطلب استخدام المنهج الاستقرائي والنقدي، الاستقرائي في تتبع النصوص التي أشارت إلى طعن جولدتسيهر وادعاءاته، والنقدي في عرض هذه الأقوال ومحاکمتها عبر ميزان العقل والنقل كما وتطلب البحث الاستعانة ببعض المصادر الحديثية ككتب الرواية والرجال وغيرها.

المطلب الأول

التعريف بالمستشرق جولدتسيهر

تناولت الكثير من الدراسات التعريف بالمستشرق جولدتسيهر ومنها المعاجم والتراجم التي عنيت بالمستشرقين، لذلك سوف نتبع سيرته الذاتية والعلمية ونقتصر على المفاصل التي ترتبط وموضوعة البحث فضلا عن العوامل المساعدة التي ساهمت في نضوج اهتمام جولدتسيهر بالإسلام بصورة عامة وبالحديث بصورة خاصة، وفيما يأتي عرض لذلك:

أولاً: نسبه وأصله:

اجتس جولدتسيهر، مستشرق يهودي مجري، ولد في سنة ١٨٥٠م بمدينة اشتولفيسنبرج في بلاد المجر وتوفي فيها عام ١٩٢١م، ينتمي لأسرة ذات مكانة كبيرة تتمتع بوسط اقتصادي واجتماعي الأمر الذي انعكس على تنشئته في بيئة وفّرت له أجواء التعليم والتحصيل فيما بعد.^(١)

ثانياً: مراحل حياته العلمية

أ - قضى جولدتسيهر السنين الأولى من عمره في بودابست وهي عاصمة المجر، تخرج باللغات السامية على كبار أساتذتها في بودابست، ثم عين محاضراً في كلية العلوم فيها عام (١٨٧٣م).^(٢)

ب - لكنّه لم يستمر في التدريس طويلاً وإنما أرسلته وزارة المعارف المجرية في بعثة دراسية إلى الخارج، فاشتغل طوال سنة في فينا وفي لندن، وارتحل بعدها إلى الشرق من سنة ١٨٧٣م إلى ١٨٧٤م، إذ انتدبته الحكومة للقيام برحلة إلى سوريا وبعدهما إلى مصر، ثم تركها إلى فلسطين فتضلع باللغة العربية على يد شيوخ الأزهر ولا سيما الشيخ محمد عبدة حتى تأثر بهم وتزى بزيمهم واشتهر بالاهتمام بالتحقيق في مجال تاريخ الإسلام وعلوم المسلمين وفرقهم وحركاتهم الفكرية.^(٣)

ت - عين في جامعة بودابست وكانت عنايته باللغة العربية عامة والإسلامية الدينية خاصة تنمو وتزداد، ثم بعد ذلك حقق في وطنه شهرة كبيرة جعلته يُنتخب عضواً مراسلاً للأكاديمية المجرية سنة ١٨٧١م، ثم عضواً عاملاً في سنة ١٨٧٢م، ثم رئيساً لأحد أقسامها سنة ١٩٠٧م، وصار أستاذاً للغات السامية يشارك كثيراً في مؤتمرات المستشرقين ويشارك بالبحوث الإسلامية.^(٤)

ثالثاً: مؤلفاته ومجالاتها الإسلامية

اهتم جولدتسيهر بمختلف التخصصات الإسلامية حيث كانت له مكتبة احتوت على ما يقارب أربعين ألف مجلد في العلوم والفقه والفلسفة والفنون واللغة والأدب وكان قد علق عليها من الحواشي والاستدراكات والتحقيقات وأضاف إليها نسخاً تبلغ الآلاف من

المستشرق جولدتسيهر ونقد متن الحديث - عرض ونقد (٢٣٥)

المقالات والمجلات العلمية التي أهداها اليه المستشرقون من جميع انحاء العالم^(٥)، فكان جراء هذا الاهتمام أن أصدر العديد من المؤلفات التي شملت علوم القرآن الكريم ومختلف العلوم الاسلامية وفيما يلي استعراض لأهم هذه المجالات^(٦):

أ - العقيدة الإسلامية

ومن أمثلة المؤلفات في هذا المجال: (آداب الجدل عند الشيعة) وكتاب (الإسلام) باللغة الالمانية ثم ترجم إلى الفرنسية بعنوان (العقيدة والشريعة في الاسلام)، ونشر كتاب العقائد والشرائع عند المرجئة، القدرية والمعتزلة، وفي المجلة الشرقية الالمانية له كتابات حول الصحيفة الكاملة المنسوبة إلى الإمام زين العابدين (عليه السلام)، والشيعة، وكتاب الملل والنحل.

وأيضاً كانت له وقفات عند إخوان الصفا، وفخر الدين الرازي ودراسة عن النبي ﷺ في (دراسات محمدية)، والاجماع. وكان كتابه (الظاهرية مذهبهم وتاريخهم) من الكتب المهمة في دراسة المذهب الظاهري وصلته بالمذاهب الفقهية الأخرى.

ب - اللغة العربية

قدم بحث فلسفي في فقه اللغة بالألمانية بمجلدين، ونشر ديوان الحطيئة متنا وقام بترجمته و التعليق عليه، والكتابة في الجاهلية وأمثال العرب، وغيرها.

المطلب الثاني

جولدتسيهر ونقد المتن

اهتمامات تسيهر العديدة بالدراسات الإسلامية بشكل عام و الدراسات المتعلقة بالحديث الشريف بشكل خاص دعاه إلى التأليف في مجال تاريخ الحديث الشريف، ومن كتبه التي عنت بالدراسات الحديثية: دراسات محمدية والذي يعد من أهم الكتب التي أفرد به دراسته للحديث الشريف بدءاً من تاريخ تدوينه وكتاب العقيدة والشريعة في الاسلام، وقبل الحديث عن ادعاء جولدتسيهر عن نقد المتن سوف نتطرق إلى نبذة مختصرة عن موضوعات الكتابين والدراسة البحثية للحديث النبوي، وكما يأتي:

أولاً: كتابا دراسات محمدية والعقيدة والشريعة وموضوعاتها الحديثية.

مهدّ جولدتسيهر في كتاب دراسات محمدية عن تطور الحديث النبوي وأفرد فصلا متتبعا فيه صلة الحديث النبوي بنزاع الفرق الإسلامية كما وتحدّث عن ظاهرة الوضع في الحديث، وعقد فصلا عن فضائل السنن بعد الحديث وسيلة لتهديب النفوس والترويح عن القلوب في محاولة لإظهار التناقض الذي عليه العلماء في الأخذ بالرواية تحت باب فضائل الأعمال فهم يأخذون بالرواية إذا كانت تشير إلى الوعظ والإرشاد على الرغم من ضعف الرواة في السند فيأخذون بها من باب التسامح، والفصل السادس الذي خصّصه بمحور طلب الحديث، والفصل السابع عن تدوين الحديث، اذ تطرق فيه إلى أسباب عدم التدوين وجواز الرواية بالمعنى فيما بعد، واختتم كلامه عن الحديث النبوي بالإشارة إلى أهم المصنفات الحديثية وأهم الاختلافات التي ظهرت فيها.

ومن كتبه التي تناولت دراسته عن الحديث النبوي كتاب العقيدة والشريعة والذي كان عبارة عن محاضرات ألقاها أمام اللجنة الأمريكية للمحاضرات في تاريخ الأديان متطرقا الى الجوانب المختلفة والمتعلقة بالشريعة الإسلامية، ثم طبعت هذه المحاضرات بكتاب عام ١٩٦٠ وتضمنت عدد من المحاور، المحور الأول تناول فيه الحديث عن النبي ﷺ والإسلام، وانتهى بأن الإسلام ما هو إلا جمع من أفكار الديانات والمعتقدات السابقة وهو خليط من التيارات والآراء الهندية فضلا عن اليهودية والنصرانية، وإن الحديث ما هو إلا جمع لهذ الأفكار.

المحور الثاني تضمن مجال الفقه وتاريخ تطوره في الإسلام ومدى تأثره بالقانون الروماني، هذا وتطرق أيضا إلى علم الحديث وتاريخ تدوينه، والمحور الثالث تحدّث فيه عن العقيدة الإسلامية وتطورها وظهور الفرق الإسلامية وأهم النظريات التي تبنتها بعض الفرق كالجبر والاختيار وغيرها.

أفرد جولدتسيهر في المحور الرابع من الكتاب حديثه عن الزهد والتصوّف، والخامس تحدّث فيه عن بعض الفرق الإسلامية وأثرها على السياسة ومنها الخوارج والشيعة وانتهى بمحور لاحق إلى التيارات والحركات الدينية ومنها الوهابية والبهائية وغيرها.

ثانياً: ادعاء جولدتسيهر حول نقد المتن.

عقد جولدتسيهر فصلاً كاملاً عن الحديث والسنة وأشار إلى الفرق بينهما فتتبع لفظ الحديث ومصاديقه المتعددة بالاعتماد على الاستعمالات اللغوية للفظ وأرجع لفظ الحديث إلى موضوعات القصص والحكايات قائلًا: ((ومن سياق الأساطير والخرافات جعلت لفظة حديث لموضوعات القصص.))^(٧).

ثم خصّص لفظ الحديث للتعبير عن قول الرسول ﷺ على حدّ قوله: ((لما كان كتاب الله هو الأحسن حديثًا وخوفًا من التناقض مع المفهوم العام لكلمة حديث ولأن القرآن أعلى المصادر الشرعية قصرت لفظة حديث على أقوال الرسول إمامًا بمبادرته الخاصة بالكلام أو إجابته على سؤال))^(٨).

ثم عزا الأحاديث الواردة عن الرسول محمد ﷺ في كتابه (العقيدة والشريعة) إلى بعض زعماء الفرق والمذاهب الإسلامية، إذ قام هؤلاء بوضع الأحاديث ونسبتها إلى النبي ﷺ لأسباب تتفق واتجاههم العقدي^(٩) فقد ادعى ذلك بقوله: ((ولا نستطيع أن نعزو الأحاديث الموضوعة للأجيال المتأخرة وحدها بل هناك أحاديث عليها طابع القدم، وهذه إما قالها الرسول، أو هي من عمل رجال الإسلام القدامى))^(١٠) وفي ما يتعلق بنقد المنهج الإسلامي لهذه الأحاديث صرح قائلًا: ((من السهل أن يفهم أن وجهات نظرهم ليست كوجهات النظر عندنا تلك التي لا نجد لها مجالًا كبيرًا في النظر في تلك الأحاديث التي اعتبرها النقد الإسلامي صحيحة غير مشكوك فيها ووقف حيالها لا يحرك ساكنًا ولقد كان من نتائج هذه الأعمال النقدية، الاعتراف بالكتب الستة أصولًا وكان ذلك في القرن السابع الهجري فقد جمع فيها علماء من رجال القرن الثالث الهجري أنواعًا من الأحاديث كانت مبعثرة رأوها أحاديث صحيحة))^(١١)، ومن هنا فهو يدعي اهتمام المسلمين بالسند دون المتن وإن كل ما جاء في الصحاح الستة صحيحًا باعتبار السند دون المتن؛ لروايته من قبل الرجال الثقات، ولم يقتصر على ذلك فحسب بل ادعى إن لفظ المتن هي لفظة جاهلية ولم تكن في الأصل نص الحديث حيث كانت تطلق على النص المكتوب في الشعر الجاهلي وشبهها بكتابات الرهبان النصراني أو بكتابة الفرس زمن كسرى^(١٢)، وليس هذا فحسب فان جولدتسيهر يقول: ((لم يلق متن الحديث اهتمامًا كبيرًا بقدر ما لقي الإسناد نفسه من

اهتمام والإيمان بصحة حديث ما أو بطلانه يتوقف على عدالة رواته ولذلك عُرِفَ الإسناد بقوائم الحديث حيث أصبح وجود الإسناد دليلاً على صحة الأقوال المروية به وبدون الإسناد لا يصح حديث))^(١٣).

ويصف منهج العلماء المسلمين في نقد الحديث بقوله: ((الحديث لا يوضع في ميزان النقد إلا من خلال شكله الخارجي وبالتالي يتوقف الحكم بصحة المتن على صحة الإسناد فإذا سلم الإسناد الذي رويت به عبارات مستحيلة مليئة بالتناقضات الداخلية والخارجية من هذا النقد الشكلي واحتمال التقاء رجاله قائماً فالحديث صحيح وليس بمقدور أحد أن يقول: إنني أشك في إسناد الحديث لأن في متنه سخافات تاريخية لا يقبلها منطق))^(١٤)، وغيرها من الأقوال الصريحة في عدم اهتمام المسلمين بنقد المتن وتقديم السند عليه.

المطلب الثالث

الرد على ادعاء جولدتسيهر

اتهم المستشرق جولدتسيهر كما سبق المسلمين بعدم الاهتمام بالمتن وإن انشغالهم بالسند منع من الالتفات للمتن ودراسته، وهذا باطل لأنه قد بنى جل أحكامه على نظرياته التي أطلقها وصدق بها، فهو يرى إن المسلمين لا يستطيعون أن يصلوا إلى مستوى النقد والتمييز وهم مجرد نقلة وحفظة، واكتفوا بالنقد الخارجي^(١٥) على حساب النقد الداخلي^(١٦) للحديث، وهذا الأمر مردود ولا يصمد أمام النقل والعقل كما سنلاحظ من خلال المسائل الآتية:

المسألة الأولى:

إن تاريخية نقد المتن ظهرت مع ظهور الإسلام وتتمثل بقيام النبي محمد ﷺ بسنّ القواعد الأساسية لنقد متن الحديث حيث يتجلى ذلك من خلال أقواله في هذا الصدد الواردة في جمع من الروايات:

- ((حَدَّثَنَا عُمَانُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ السَّمَاكِ، نَا حَنْبَلُ بْنُ إِسْحَاقَ، نَا جُبَارَةُ بْنُ الْمُغَلِّسِ، نَا أَبُو بَكْرٍ بْنُ عِيَّاشَ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ أَبِي النَّجُودِ، عَنْ زُرِّ بْنِ حَبِيشَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّهَا تَكُونُ بَعْدِي رِوَاةٌ يَرُوُونَ عَنِّي

الحديث، فأعرضوا حديثهم على القرآن فما وافق القرآن فخذوا به، وما لم يوافق القرآن فلا تأخذوا به))^(١٧).

فهو يعرض لنا ضوابط رئيسة في نقد المتن الموافق والمخالف والتأكيد على مرجعية القرآن الحاكمة للفصل بين الصحيح والسقيم، وكما هو ملاحظ من الروايات الآتية أيضا:

- قال الرسول محمد ﷺ: ((إن الحديث سيفشوني، فما أتاكم عني يوافق القرآن فهو عني، وما أتاكم عني يخالف القرآن فليس عني))^(١٨).

- ((عن أبي حاضر عن الوضين عن سالم بن عبد الله عن عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ قال: سئلت اليهود عن موسى فأكثرُوا وزادوا ونقصوا حتى كفروا، وسئلت النصراني عن عيسى فأكثرُوا فيه وزادوا ونقصوا حتى كفروا، وإنه سيفشوني أحاديث، فما أتاكم من حديثي فاقروا كتاب الله واعتبروه، فما وافق كتاب الله فأنأ قلته، وما لم يوافق كتاب الله فلم أقله))^(١٩).

- ((حدثنا حدثنا ابن أبي كريمة، عن أبي جعفر، عن رسول الله ﷺ أنه دعا اليهود، فسألهم فحدثوه حتى كذبوا على عيسى، فصعد النبي ﷺ المنبر، فخطب الناس، فقال: "إن الحديث سيفشوني، فما أتاكم عني يوافق القرآن فهو عني، وما أتاكم عني يخالف القرآن فليس عني))^(٢٠).

- ((عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ إن على كل حق حقيقة وعلى كل صواب نورا فما وافق كتاب الله فخذوه وما خالف كتاب الله فدعوه))^(٢١).

- ((محمد بن إسماعيل عن الفضل بن شاذان عن ابن أبي عمير عن هشام بن الحكم وغيره عن أبي عبد الله عليه السلام قال خطب النبي ﷺ بمنى فقال أيها الناس ما جاءكم عني يوافق كتاب الله فأنأ قلته وما جاءكم يخالف كتاب الله فلم أقله))^(٢٢).

المسألة الثانية:

إشارات أهل بيت النبوة ﷺ إلى قواعد نقد المتن من خلال التطبيقات التي توحى بأن نقد المتن كان قائما قبل نقد السند وبقية علوم الحديث ويتجلى ذلك باحتجاج السيدة فاطمة عليها السلام على الخليفة أبي بكر عندما منعها فذك، قولها عليها السلام: ((أفعلى عمد تركتم كتاب

الله ونبذتموه وراء ظهوركم، إذ يقول: " وورث سليمان داود " وفيما اقتص من خبر يحيى وزكريا إذ يقول " قال رب ... فهب لي من لدنك وليا. يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا " وقال (عز وجل): " يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين " وقال تعالى: ﴿إِنَّ تَرَكَ خَيْرَ الْوَصِيَّةِ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِأَمْوَالِهِمْ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾. وزعمتم أن لاحظ لي ولا يرث من أبي. أفخصكم الله بآية أخرج أبي منها؟ أم تقولون: إن أهل ملتين لا يتوارثان؟ أو لست أنا وأبي من أهل ملة واحدة؟ أم أنتم بخصوص القرآن وعمومه أعلم ممن جاء به)) (٢٣).

وورد عن أئمة اهل البيت عليهم السلام أيضا:

- ((عن سدير قال: قال أبو جعفر وأبو عبد الله عليهما السلام: لا تصدق علينا إلا بما يوافق كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم)) (٢٤).

- ((عدة من أصحابنا عن أحمد بن محمد بن خالد عن أبيه عن النضر بن سويد عن يحيى الحلبي عن أيوب بن الحر قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول كل شيء مردود إلى الكتاب والسنة وكل حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف)) (٢٥).

المسألة الثالثة:

اعتمد العلماء على القواعد التي وضعها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام في الأخذ بالأخبار الواردة عنهم والتي كانت تعتمد على المتن بالدرجة الأولى ومقارناته وعرضه على الكتاب والسنة.... وإليك أقوال بعض العلماء:

١- الشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ) يقول: ((متى وجدنا حديثا يخالفه الكتاب ولا يصح وفاقه له على حال أطرحناه، لقضاء الكتاب بذلك وإجماع الأئمة عليهم السلام عليه، وكذلك إن وجدنا حديثا يخالف أحكام العقول أطرحناه لقضية العقل بفساده)) (٢٦)

٢- السيد المرتضى (ت ٤٣٦هـ) في مناقشته للحديث الوارد عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في كثرة الكذب عليه يذهب إلى إن ((كل خير دل ظاهره على إجبار أو تشبيه أو ما جرى مجرى ذلك، مما علمنا استحاله، من غير قرينة، ولا على وجه الحكاية، وكان احتماله للصواب بعيدا متعسفا، وجب الحكم بطلانه، لان الحكمة والدين يمنعان من الخطاب بما يحتاج إلى تعسف وتكلف شديد حتى يحتمل الصواب)) (٢٧).

٣- ورد في التهذيب عمل الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠هـ) بذلك بقوله: ((... فهذان الخبران قد وردا شاذين مخالفين لظاهر كتاب الله، وكلّ حديث ورد هذا المورد فإنه لا يجوز العمل عليه، لأنه روي عن النبي ﷺ وعن الأئمة عليهم السلام أنهم قالوا إذا جاءكم منا حديث فاعرضوه على كتاب الله، فما وافق كتاب الله فخذوه وما خالفه فاطرحوه أو ردوه علينا. وهذان الخبران مخالفان على ما ترى...)) (٢٨).

٤- الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ) ذكر كيفية نقد خبر الواحد من خلال نقد المتن، فقال: ((ولا يُقبل الخبر الواحد في منافية العقل، وحكم القرآن الثابت، والسنة المعلومة، والفعل الجاري مجرى السنة، وكلّ دليل مقطوع)) (٢٩).

وقال أيضا ((وكل خبر واحد دل العقل أو نص الكتاب أو الثابت من الأخبار أو الإجماع أو الأدلة الثابتة المعلومة على صحته وجد خبر آخر يعارضه فإنه يجب طرح ذلك المعارض والعمل بالثابت الصحيح اللازم لأن العمل بالمعلوم واجب على كل حال)) (٣٠).

٥- الغزالي (ت ٥٠٥هـ) أورد في قبول الأخبار ثلاثة أقسام: ما يجب تصديقه، ما يُعلم كذبه، ما لا يُعلم صدقه ولا كذبه، ثم ذكر القواعد التي يمكن بواسطتها معرفة الرواية الصحيحة من السقيمة وكان من قواعد معرفة ما يعلم كذبه - القسم الثاني - هي:

الأول: ما يعلم خلافه بضرورة العقل أو نظره أو الحس والمشاهدة أو أخبار التواتر، وبالجملة ما خالف المعلوم بالمدارك الستة المذكورة، كمن أخبر عن الجمع بين الضدين.

الثاني: ما يخالف النص القاطع من الكتاب والسنة المتواترة وإجماع الأمة، فإنه ورد مكذبا لله تعالى ولرسوله ﷺ وللأمة.

الثالث: ما صرح بتكذيبه جمع كثير يستحيل في العادة تواطؤهم على الكذب إذا قالوا حضرنّا معه في ذلك الوقت فلم نجد ما حكاه من الواقعة أصلا.

الرابع: ما سكت الجمع الكثير عن نقله والتحدث به مع جريان الواقعة بمشهد منهم ومع إحالة العادة السكوت عن ذكره لتوفر الدواعي على نقله (٣١).

٦- ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) يشير الى الاهتمام بنقد المتن بقوله: ((المستحيل لو صدر عن الثقات رد ونسب إليهم الخطأ ألا ترى أنه لو اجتمع خلق من الثقات فأخبروا أن الجمل قد دخل في سم الخياط لما نفعنا ثقتهم ولا أثرت في خبرهم، لأنهم أخبروا بمستحيل، فكل حديث رأيت يخالف المعقول، أو يناقض الأصول، فاعلم أنه موضوع)) (٣٢).

المسألة الرابعة

اهتم العلماء بالكشف عن صحة صدور الحديث عن النبي ﷺ ليس فقط عن طريق البحث والتقيب بالسلسلة السندية فحسب بل أولوا اهتماما في الكشف عن صحة صدور الفاظ الحديث عنه ﷺ وخاصة ما يتعلق بالموضوعات فقد صنفوا بكثرة في هذا المجال ومن أشهر المصنفات الموضوعات لابن الجزري واللالئي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة للسيوطي والموضوعات لابن الجوزي وغيرها، فضلا عن ذلك فقد وضع العلماء مجموعة من الضوابط لمعرفة الموضوع ومنها ما ذكره ابن القيم الجوزي (٣٣) في المنار المنيف:

- ١- اشتغال الحديث على مجازفات لا يقول مثلها رسول الله ﷺ.
- ٢- تكذيب الحس له.
- ٣- سماجة الحديث كونه مما يسخر منه.
- ٤- مناقضة الحديث لما جاءت به السنة الصريحة مناقضة بينة.
- ٥- أن يدعي على النبي أنه فعل أمرا ظاهرا بمحض من الصحابة، وإنهم اتفقوا على كتمانهم ولم يفعلوه.
- ٦- أن يكون الحديث باطلا في نفسه فيدل بطلانه أنه ليس من كلام الرسول ﷺ.
- ٧- أن يكون الحديث لا يشبه كلام الأنبياء فضلا عن كلام رسول الله ﷺ الذي هو وحي يوحى.
- ٨- أن يكون في الحديث تاريخ كذا وكذا.
- ٩- مخالفة الحديث صريح القرآن.

١٠- ما يقترن بالحديث من القرائن التي يعلم بها أنه باطل.

١١- أن يكون الحديث مما تقوم الشواهد الصحيحة على بطلانه.

والملاحظ من أغلب الشروط السابقة بأنها تخصّ المتن دون السند.

المسألة الخامسة

إنّ العلوم الاسلامية وبالأخصّ الفقه يستند استنادا كبيرا على متون الروايات وما اختلف الفقهاء خير دليل على نشوء علم نقد المتن بين صفوفهم منذ القدم، والمتبع للمصنفات الفقهية يلحظ بأنّ كتب الفقه تعتمد بالدرجة الأساس على المتن دون السند، كما إنّ بعضها جمع الروايات الفقهية دون ذكر أسانيدها مثل كتاب المقنعة للشيخ المفيد، وكذلك مسائل الاختلاف بين المذاهب الاسلامية كما هو الحال في الخلاف للشيخ الطوسي، وكذلك الكتب التي جمعت الاختلافات في المذهب الامامي ككتاب مختلف الشيعة... دلالة على الاهتمام بالمتن.

المسألة السادسة

إنّ علم نقد السند أو ما يطلق عليه بتعبير المستشرقين بالنقد الخارجي يكاد يعتمد اعتمادا غير مباشر على النقد الداخلي وهذا يتبين من خلال بعض المصطلحات الحديثة كالشاذّ والمنكر والغريب والمضطرب فضلا عن الحديث الموضوع وإن كان الأفضل عدم اطلاق لفظ الحديث عليه، فيعرف الحديث الشاذّ هو ما تفرد به الراوي الثقة مع مخالفة غيره من الثقات^(٣٤) فهذه المخالفة أين تقع؟؟ في السند؟ أم في المتن؟ وكذلك الحديث المنكر فهو تفرد ومخالفة أيضا وكذلك المضطرب والغريب فيهما مخالفة، فهل تقع المخالفة في السند ام المتن؟ بالطبع على الأرجح تكون في المتن واساس هذه المصطلحات بالدرجة الأولى هو المتن دون السند.

المسألة السابعة

برع العلماء في نقد المتن كما هو ملاحظ بصورة مباشرة أو غير مباشرة وقد اهتموا بالمتن ونقده حتى في الكتب التي عنت بالرجال والبحث عن حال الراوي، فقد اعتنى العلماء بنقد متن الحديث في الكتب الرجالية من خلال ما تتبعوه من حال الراوي ومروياته،

مبثوثة في كتبهم بدءاً من النجاشي الذي كان يلوح بإشاراته الى نقد المتن بقوله ((له كتاب)) وغيرها من العبارات وهذا ما نلاحظه في ترجمة سليم بن قيس الهلالي^(٣٥)، وعبارة ((له كتاب حسن كبير)) في معرض ترجمته لأبان بن عثمان الأحمر وعن الحسن بن محمد بن سهل النوفلي قوله: ((له كتاب حسن كثير الفوائد))^(٣٦)، وعن الحسن بن راشد الطفاوي قوله: ((له كتاب نواذر حسن كثير العلو))^(٣٧)، وكذلك عبارة ((له كتاب فيه تخليط))^(٣٨) عن ربيع بن زكريا.

وذكر ابن الغضائري إن الحسن بن العباس بن الحريش روى عن أبي جعفر الثاني عليه السلام ((فضل إنا أنزلناه في ليلة القدر كتاباً مُصنفاً، فاسد الألفاظ، تشهد مخاليه على أنه موضوع))^(٣٩) والذي يقصده من قوله فاسد الألفاظ هو خصوص المتن وليس السند.

وقوله ((وضاع للحديث))^(٤٠) بشأن عبد الله بن محمد بن عمير دلالة على التفاتاته إلى ما صدر عنه، وذكر العلامة الحلبي عبارة ((ما رأيت له رواية صحيحة))^(٤١) عن جعفر بن محمد بن مفضل، حيث إن الصحة تعتمد المتن أيضاً وغيرها من العبارات:

- ما أظنه إلا موضوعاً

- ما أنكرت منه شيئاً إلا ما يرويه

- ما تطيب الأنفس من روايته، والتي تدل دلالة قاطعة على نقد العلماء للمتن والاهتمام البالغ الأثر فيه حتى جعلوه علماً لا يقل عن نقد سند الحديث.

وان ما قام به العلماء من نقد السند ما هو إلا نهر يصب في مصب واحد ألا وهو

الكشف عن صحة المتن وقطعية صدوره عن المعصوم عليه السلام.

الخاتمة:

إن ما ادّعه المستشرقون بشأن أي قضية متعلقة بالإسلام هدفهم الوحيد والرئيس هو إلحاق ما لا يليق بالإسلام والمسلمين، وإن عدم الاهتمام بنقد المتن من قبل العلماء المسلمين شبهة لا دليل لها، حيث دلت المعطيات التاريخية الاهتمام البالغ لنقد المتن الذي يتوقف عليه صحة صدور الحديث عن المعصوم عليه السلام، وبالتالي الاعتماد عليه في مضان الأحكام الشرعية وهذا بدوره تطلب جهداً كبيراً من العلماء الذين تفتنوا في دراساتهم الحديثية بغية التوصل

والتحقيق في صحة الصدور على سبيل القطع أو الظن المبني على الاطمئنان.

ومن هنا إن كل ما ورد من تأصيل لقواعد نقد المتن من قبل النبي محمد ﷺ ومن بعده أئمة أهل البيت دلالة قاطعة على الاهتمام بنقد المتن، وكذلك ما قام العلماء في مجال الحديث الشريف على مختلف الأصعدة من دراسة للسند أو المتن ما هو إلا دليل على الاهتمام بنقد المتن وحتى ما قاموا به من دراسات تتعلق بدراسة السند ماهي إلا من محض اهتمامهم بمتن الحديث باعتبار إن السند هو الطريق الموصل للمتن.

ومن هنا فإن ادعاء جولدتسيهر مثله مثل ادعاءات بقية المستشرقين التي لا تصمد أمام النقد إذا ما قوبلت بأدلة من المصادر الصحيحة الثابتة.

هوامش البحث

- (١) موسوعة المستشرقين، عبد الرحمان بدوي: ١٩٧
- (٢) ينظر: معجم اسماء المستشرقين، يحيى مراد: ٤٣٦
- (٣) ينظر: موسوعة المستشرقين، عبد الرحمان بدوي: ١٩٨ + معجم اسماء المستشرقين، يحيى مراد: ٤٣٦
- (٤) ينظر: موسوعة المستشرقين، عبد الرحمان بدوي: ١٩٨
- (٥) ينظر: معجم أسماء المستشرقين، يحيى مراد: ٤٣٦
- (٦) ينظر: المصدر نفسه: ٤٣٨ + المستشرقون، نجيب العقيقي: ٩٠٧ + موسوعة المستشرقين، عبد الرحمان بدوي: ٢٠١
- (٧) دراسات محمدية، جولدتسيهر: ٣٩٠
- (٨) المصدر نفسه: ٣٩١
- (٩) نحن لا يمكن ان نلغي هذه الحقيقة ولكن في نفس الوقت لا يمكن ان نقطع او نسلم بوصف كل الاحاديث بالموضوعة.
- (١٠) العقيدة والشريعة في الاسلام، جولدتسيهر: ٤٩-٥٠
- (١١) المصدر نفسه : ٥٠
- (١٢) ينظر: دراسات محمدية، جولدتسيهر: ٣٩٤
- (١٣) المصدر نفسه: ٥٠٠
- (١٤) المصدر نفسه: ٥٠٩
- (١٥) النقد الخارجي وبتعبير المستشرقين هو نقد سند الحديث.

- (١٦) النقد الداخلي وتعبير المستشرقين يعني هو نقد متن الحديث.
- (١٧) سنن الدارقطني، علي بن عمر الدارقطني (ت ٣٨٥هـ): ١٣٣/٤ - ١٣٤ + كنز العمال، المتقي الهندي: ١٩٦/١
- (١٨) معرفة السنن والآثار، أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ): ٥٢٣/٦.
- (١٩) المعجم الكبير، سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠هـ): ٢٤٤/١٢.
- (٢٠) كتاب الأم، محمد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤هـ): ٣٠٨/٧.
- (٢١) الكافي، محمد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٩هـ): ٦٩/١.
- (٢٢) المصدر نفسه: ٦٩/١.
- (٢٣) شرح الاخبار، القاضي النعمان المغربي (ت ٣٦٣هـ): ٣/٣ + الاحتجاج، الطبرسي (ت ٥٤٨هـ): ١٣٩/١.
- (٢٤) بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي (ت ١١١١هـ): ٢٢٤/٢.
- (٢٥) المصدر نفسه: ٦٩/١.
- (٢٦) تصحيح اعتقادات الإمامية، محمد بن محمد بن النعمان المفيد (ت ٤١٣هـ): ١٤٩.
- (٢٧) الذريعة، الشريف المرتضى (ت ٤٣٦هـ): ٥١٦/٢.
- (٢٨) تهذيب الأحكام، محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ): ٢٧٥/٧.
- (٢٩) الكفاية في علم الرواية، الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ): ٤٧٢.
- (٣٠) المصدر نفسه: ٤٧٤.
- (٣١) المستصفى، محمد بن محمد الغزالي (ت ٥٠٥هـ): ١١٣-١١٤.
- (٣٢) الموضوعات، ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ): ١٠٦/١.
- (٣٣) ينظر: المنار المنيف، ابن القيم الجوزية (ت ٧٥١هـ): ٣٩ - ٥٩ + الشيعة في الميزان، محمد جواد مغنية (ت ١٤٠٠هـ): ٣١٩.
- (٣٤) الكفاية في علم الرواية، الخطيب البغدادي: ١٧١
- (٣٥) الرجال، النجاشي: ٨
- (٣٦) المصدر نفسه: ٣٧
- (٣٧) المصدر نفسه: ٣٨
- (٣٨) الرجال، النجاشي: ١٦٤ + خلاصة الاقوال، العلامة الحلي: ٣٤٦
- (٣٩) الضعفاء، ابن الغضائري: ٥٢
- (٤٠) المصدر نفسه: ٨٠
- (٤١) خلاصة الاقوال، العلامة الحلي: ٣٣٢

قائمة المصادر والمراجع

- ١- الاحتجاج، الطبرسي (ت ٥٤٨هـ)، تحقيق: السيد محمد باقر الخرسان، دار النعمان للطباعة والنشر - النجف الأشرف، ١٩٦٦م
- ٢- اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي)، محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، بعثت، قم، ١٤٠٤هـ
- ٣- تصحيح اعتقادات الإمامية، محمد بن محمد بن النعمان المفيد (ت ٤١٣هـ)، تحقيق حسين درگاهي، ط ٢، دار المفيد، بيروت، لبنان، ١٩٩٣م
- ٤- تهذيب الأحكام، محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق: حسن الموسوي الخرسان، ط ٣، خورشيد، إيران، ١٣٦٤هـ
- ٥- خلاصة الأقوال، العلامة الحلبي (ت ٧٢٦هـ)، تحقيق: الشيخ جواد القيومي، ط ١، مؤسسة النشر الإسلامي: ١٤١٧هـ.
- ٦- دراسات محمدية، جولدتسيهر، ترجمة: الصديق بشير نصر، (د.ت)
- ٧- الذريعة، الشريف المرتضى (ت ٤٣٦هـ)، تحقيق أبو القاسم كرجي، دانشگاه، طهران، ١٣٤٨هـ
- ٨- الرجال، النجاشي، تحقيق: موسى الشبيري الزنجاني، ط ٥، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المشرفة، ١٤١٦هـ.
- ٩- سنن الدارقطني، علي بن عمر الدارقطني (ت ٣٨٥هـ)، تعليق: مجدي بن منصور، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٦م
- ١٠- الشافعي، محمد بن إدريس (ت ٢٠٤هـ)، كتاب الأم، ط ٢، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٩٨٣م
- ١١- شرح الاخبار، القاضي النعمان المغربي (ت ٣٦٣هـ)، تحقيق: السيد محمد الحسيني الجلالی، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة
- ١٢- الشيعة في الميزان، محمد جواد مغنية (ت ١٤٠٠هـ)، ط ٤، دار التعارف، بيروت، لبنان، ١٩٧٩م
- ١٣- الضعفاء، ابن الغضائري، تحقيق: السيد محمد رضا الجلالی، ط ١، دار الحديث، ١٤٢٢هـ.
- ١٤- العقيدة والشريعة في الاسلام، جولدتسيهر، ترجمة: د. محمد يوسف، علي حسين. ط ٢، دار الكتاب العربي، مصر، (د.ت)
- ١٥- الكافي، محمد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٩هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، ط ٣، حيدري، دار الكتب الإسلامية، إيران، (د.ت)

- ١٦- كتاب الأم، محمد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤هـ)، ط ٢، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٩٨٣م
- ١٧- الكفاية في علم الرواية، احمد بن علي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق: أحمد عمر هاشم، ط ١، دار الكتاب العربي - بيروت: ١٩٨٥م
- ١٨- كنز العمال، علي بن حسام الدين المتقي الهندي (ت ٩٧٥هـ)، تحقيق: الشيخ بكري حياني، ط ١، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٩٨٩هـ.
- ١٩- المجلسي، محمد باقر (ت ١١١١هـ)، بحار الأنوار ط ٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٩٨٣م.
- ٢٠- المستصفى، محمد بن محمد الغزالي (٥٠٥هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٦م.
- ٢١- معجم أسماء المستشرقين، يحيى مراد، ط ١، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٤م
- ٢٢- المعجم الكبير، سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، ط ٢، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان (د.ت).
- ٢٣- معرفة السنن والآثار، أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ت)
- ٢٤- المنار المنيف، ابن القيم الجوزية (٧٥١هـ)، تحقيق: عبد الرحمان بن يحيى المعلمي، ط ١، دار العاصمة، المملكة العربية السعودية، ١٩٩٦م
- ٢٥- الموضوعات، ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، ط ١، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ١٩٩٦م.